النظم عند المتكلمين (الجاحظ)
التمهيد:
ارتبطت ثنائيّة اللفظ والمعنى بمختلف العلوم ومجالات المعرفة الإنسانيّة، لذلك نجدها في كل الدراسات التي تناولت اللغة والكلمة حيث "هيمنت على تفكير اللغويّين والنحاة وشغلت الفقهاء والمتكلّمين، واستأثرت باهتمام البلاغيّين والمشتغلين بالنقد؛ نقد الشعر والنثر، دع عنك المفسّرين والشراح الذين تشكّل العلاقة بين اللفظ والمعنى موضوع اهتمامهم العلني الصريح.

استقلالية اللفظ عن المعنى:

الفصل بين اللفظ والمعنى لكل لفظة منهما معناه الخاص.
ما قام به الخليل: جعل ألفاظ لها معنى وألفاظ مهملة، حيث احصى العربية احصاء تاما، وبذلك هيأ مادة مصنفة معروفة لمن جاء بعده من اللغوين الذين صنفوا معجمات لقد اهتدى الخليل إلى طريقة (التقليب) التي استطاع بها أن يعرف المستعمل من العربية والمهمل، فعقد الكتاب على المستعمل وأهمل ما عداه. حتى إذا تمّ احصاء اللغة من الثنائي إلى الثلاثي فالرباعي فالخماسي كان ذلك إيذانا ببدء مرحلة التدوين العلمي للعربية

التعصب للفظ والمعنى

ذكر صاحب الإمتاع حوارا بين متّى بن يونس وأبي سعيد السيرافي حيث قال أبوسعيد ليونس "أسألك عن حرف واحد، هو دائر في كلام العرب، ومعانيه متميزة عند أهل العقل، فاستخرج أنت معانيه، من ناحية منطق (أرسطا طاليس) الذي تدلّ به، وتباهى بتفخيمه وهو (الواو)، ما أحكامه، وكيف مواقعه، وهل هو على وجه واحد أو على وجوه؟ فبهت (متّى) وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه لأنه لا حاجة بالمنطقي إلى النحو، وبالنحو حاجة إلى المنطق لأنّ المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مرّ المنطقي باللفظ، فبالعرض. وإن عبر النحوي بالمعنى، فبالعرض. **والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى.**
قال أبو سعيد: أخطأت. لأن المنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإنباء والحديث والأخبار كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة ألا ترى أن رجلًا لو قال: نطق زيد بالحق، ولكن ما تكلم بالحق، وتكلم بالفحش، ولكن ما قال الفحش، لكان محرفًا وواضعًا للكلام في غير حقه، ومستعملًا للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره. والنحو منطق، ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو، ولكنه مفهوم باللغة. **وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى: أن اللفظ طبيعي، والمعنى عقلي"**

أدوات البيان عند الجاحظ خمسة أصناف "لا تنقص ولا تزيد أوّلها **اللفظ،** ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخطّ، ثم الحال التي تسمى نصبة.

اللفظ الذي يريده الجاحظ

هو اللفظ الذي لا يكون عاميّا ولا ساقطا ولا سوقيّا، ولا غريبا ولا وحشيّا فكما
يختار اللفظ الكريم "ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه، متخيرا من جنسه، وكان سليما من الفضول، بريئا من التعقيد، حبّب إلى النفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول
ويريد من اللفظ أن يشاكل المعنى؛ "ومتى شاكل - أبقاك الله - ذلك اللفظ معناه، وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقا، ولذلك القدر لفقا، وخرج من سماجة الاستكراه، وسلّم من فساد التكلف، كان قمينا بحسن الموقع، وبانتفاع المستمع، وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العائبين

هل الجاحظ من دعاة اللفظ

- وذهب الشّيخ إلى استحسان المعنى، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجميّ والعربيّ، والبدويّ والقروي، والمدنيّ. وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحّة الطبع وجودة السّبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النّسج، وجنس من التّصوير

- المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة... وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وأخبارهم عنها، واستعمالهم إياها

- حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة

- مطابقة اللفظ للمعنى ومؤاتاتهما معا لمقتضيات الحال وظروف القول

- ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإنّ حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما.